The Illocutionary Force Nature of the Vocative Form in Surat Al-Bakara between the Performative Indicator and the Vocation Component

Received: 30/01/2021; **Accepted:** 09/01/2024

سجية طبطوب[1*]

1 كلّيّة الآداب واللّغات، قسم اللّغة والأدب العربيّ، جامعة محمّد لمين دباغين- سطيف2 (الجزائر)

طبيعة القوّة الإنجازيّة لجملة النداء في سورة البقرة بين المؤشّر الإنجازي والمكوّن المنادى

الكلمات المفتاحية:
خطاب قرآنيّ؛
قوّة إنجازيّة؛
جملة النّداء؛
وظيفة إبلاغيّة؛
سورة البقرة.

ملخص

يروم البحث عرض الصّيغ الحرفيّة والتّعابير الأصليّة لجملة النّداء في سورة البقرة، والّتي تخرج ضمن طباقات مقاميّة معيّنة، و من خلال تنوّع أطراف الحوار إلى دلالات إبلاغيّة وقوى إنجازيّة مستلزمة، وذلك بفضل طبيعة المكوّن المنادى ومؤشّره الإنجازيّ قصد تحقيق الأغراض البلاغيّة والوظائف التّواصليّة الّتي لها تأثير مباشر في نفسيّة المتلقي .

والنداء أسلوب تكرّر في مقامات الطّلب في سورة البقرة بأشكال مختلفة ونسب متفاوتة، وجاء في جميع الآيات القرآنيّة الواجهة والمدخل الرّئيس عند أيّ بؤرة من بؤر التّواصل؛ لأنّه يحفّز المتلقي (المنادي) لردّة فعل تجاه المتكلّم (الله عزّ وجلّ).

Keywords:
koranic discourse;
illocutionary force;
vocative sentence;
informational function;
Surat Al-Baqara.

Abstract

This study aims at presenting the literal forms and the original expressions of the vocative sentence in Surat Al-Baqara which appears as informational significances and necessary illocutionary Forces within certain situational antithesis and through the diversity of the dialogue elements. That is due to the nature of vocative component and its performative indicator in order to reach the rhetorical purposes and the communicative functions that affect directly the receptor's psychology.

Therefore, the vocative style is repeated in request situations in Surat Al-Baqara under different forms. It is used in all the koranic verses as well as the interface and the main entrance at any focal point of communication because it motivates the receiver to react towards Allah, the Speaker.

* Corresponding author, e-mail: Tabtoub.sadjia@yahoo.fr

Doi:

© Constantine 1 University, Algeria, 2024.
E-ISSN : 2588-2007 ---Journal homepage : *http://revue.umc.edu.dz/index.php/h*

I - مقدمة:

يعدّ النّداء في الخطاب القرآنيّ الرّكيزة الّتي بُنيت عليها الجملة الطّلبيّة قصد تفعيل العلاقة التّخاطبيّة وخدمة لتحقيق العمليّة التّواصليّة بين طرفي الخطاب (الله جلّ وعلا ومخلوقاته)، فلله عزّ وجلّ مقاصده من نظم العبادات وآداب المعاملات الّتي يريد تبليغها للعالمين على مختلف مراتبهم. والنّداء القرآنيّ كما هو معروف يؤدّي وظيفة توجيهيّة؛ لكونه مدخلا للأفعال الكلاميّة الأخرى الّتي يأتي بعدها الهدف المنشود مباشرة، كما أنّه؛ أي النّداء، يأخذ وظيفة الفعل اللّغويّ المساعد، يسند إليه كلّ من الأمر والنّهيّ والاستفهام حتّى الخبر؛ لأنّ الأفعال الجزئيّة المساعدة - حال النّداء- تكون شرطا مهمّا لما يتلو بعدها من أفعال لغويّة رئيسة، فيتوحّد إنجاز الأفعال اللّغويّة المختلفة كليّة تحت غرض تواصليّ واحد وأساس، هو مقصد الشّارع - جلّ وعلا

والبحث يحاول الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- هل جملة النّداء - وإن كانت طلبا- هي غاية الطّلب في الخطاب القرآنيّ، أو أُريد بها معنى مستلزم يدعم الطلب المشتمل عليه سيّاق الخطاب؟

- هل لجملة النّداء القدرة على الكشف عن أنواع المخاطِبين ومراتبهم، وعن دور المكوّن المنادى في تحديد نوع القوّة الإنجازيّة المهيمنة على فحوى الخطاب؟

- ما مدى تبعيّة البنيّة اللّغويّة والعناصر السّياقيّة للوظيفة التّواصليّة المتوخّاة من النّداء.

II- تعريف النّداء:

النّداء أسلوب بلاغيّ وطريق جماليّ من طرق الخطاب بين المخاطِب والمخاطَب بغية التّواصل والتّفاهم، وممّا رُوعي فيه حال المخاطِب ومنزلته بالنسبة للخطاب.

والنّداء لغة: التّصويت والدّعاء[1]؛ **واصطلاحا:** طلب إقبال المدعو (المخاطَب) على الدّاعي (المخاطِب) لأمر ما بحرف يقوم مقام فعل النّداء (أدعو/ أنادي)، ويتضمّن معناه، ويصحب في الأكثر الأمر والنّهي، وإن ورد معه استفهام أو خبر يعقبه أمر[2]؛ نحو قوله جلّ وعلا: **↓يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ↑**[3]، وقد يرد الخبر عاريّا من الأمر، نحو قوله تعالى: **↓ يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ↑**.[4]

وللنّداء حروف مخصوصة تعرف بحروف النّداء، وهي (الهمزة وأي) لنداء القريب و(يا، آ آي، أيا هيا، وا) لنداء البعيد، وقيل: (وا) للندبة؛ أي نداء المتفجّع عليه، أو المتفجّع منه.[5]

ولم يقف هذا الأسلوب البلاغيّ في اللّغة البشريّة عند نداء الحيّ العاقل، بل تجاوزه وتعدّاه إلى غيره فنُوديت الأرض والسّماء، والجبال والأنهار، والحيوانات والجمادات والدّمن والآثار، كما نُوديت أحوال النّفس من حسرة وويل، ولذّة وبشرى، كما نُودي الحبّ والبغض، وغير ذلك من أحوال النّفس البشريّة وخلف تلك النّداءات الموجّهة لغير العاقل مقاصد بلاغيّة ودلالات إبلاغيّة؛ لأنّه لا يُراد بها طلب الإقبال الحقيقيّ والفعليّ الّذي هو معنى النّداء وأصله.[6]

أمّا الحديث عن النّداء كفعل لغويّ يحقّق قوى إنجازيّة• في إطار نظريّة النّحو الوظيفيّ، فقد ورد عندما تحدّث المتوكّل عن المكوّن "المنادى" الّذي يشكّل محطّ الفعل اللّغويّ للنّداء، وقد يرد هذا المكّون قبل الجملة أو في وسطها أو بعدها، إلاّ أنّ موقعه المفضّل، اعتبارا لوظيفته الأصليّة (تنبيه المخاطَب قبل التّلفظ بالخطاب) هو موقع الصدارة.[7]

يقول أحمد المتوكّل مميّزا بين النّداء كفعل لغويّ يحقّق قوّة إنجازيّة ويُحدد وجهة الجملة والمنادى كوظيفة تداوليّة مرتبط إسنادها بالمقام:« يجب أن نميّز بين النّداء كفعل لغويّ شأنه شأن الأفعال اللّغويّة الأخرى كالإخبار والاستفهام والأمر والوعد والوعيد والمنادى كوظيفة؛ أي كعلاقة تسند إلى أحد مكوّنات الجملة وبالرّغم من أنّ النّداء والمنادى يتلازمان (يتوحّدان دوما في نفس الجملة) فإنّهما مقولتان مختلفتان ».[8]

أمّا بالنّسبة لأدوات النّداء المعروفة في اللّغة العربيّة، فقد قلّصها المتوكّل إلى أربع أدوات هي (الأداة الصّفر ∅ ،يا، أيّها•، الهمزة "أ") ويتمّ إدماج كل من الأدوات الأربعة وفق شروط خاصّة تتعلّق بطبيعة المكوّن الحامل لوظيفة المنادى، هذا الأخير يخالف دائما قوّته الإنجازيّة (النّداء) الحمل[9]، كما يتّضح من خلال الجمل الشّريفة الآتيّة:

أ- قال تعالى: **↓ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) ↑ (البقرة:21).**

ب- وقال جلّ وعلا:**↓ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأذَى↑ (البقرة: 264).**

ج- وقال عزّ وجل: ↓ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥)**↑ **(البقرة: 55).**

فالحمول الشّريفة ↓ **اعْبُدُوا رَبَّكُمُ** ↑ و↓ **لا تُبْطِلُوا** ↑ و↓ **لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ** ↑ في الآيات الكريمة السّابقة (أ، ب، ج) تأخذ القوّة الإنجازيّة الأمر والقوّة الإنجازيّة النّهي والقوّة الإنجازيّة الإخبار على التّوالي، في حين أنّ المكوّن المنادى (**النَّاسُ، الَّذِينَ آمَنُوا، مُوسَى**) يأخذ في الجمل الشّريفة الثّلاث قوّة إنجازيّة ثابتة : القوّة الإنجازيّة " النّداء "، ويُعدّ أسلوب النّداء مقدّمة لتوجيه فحوى الخطاب لأيّ مخاطَب (المنادى)؛ لأنّه يتقدّم كلّ ما سواه من أنواع المخاطبة (أمر، نهّيّ،...).[10]

III- جملة النّداء في سورة البقرة:

تمثّل الجمل الطلبيّة على كثرتها وتنوّعها في سورة البقرة واجهة لكلّ خطاب فيها؛ لأنّ المؤشّرات الإنجازيّة من أدوات وأسماء وأفعال إنجازية صريحة لا تقبل إلاّ الصّدارة –عادة- ممّا أهّل جملها أن تكون مقدّمات وبدايات في أغلب الآيات لاسيما حينما يتعلّق الأمر بجملتي الأمر والنّهي اللّتين تجتمعان وتلتحمان تارة وتنفصلان تارة أخرى، أو أنّهما تتناوبان داخل السّياق الواحد، وهما على كثرة ورودهما في سورة البقرة لم يفارقا جملة النّداء الّتي تعدّ مقدّمة توجيهيّة لهما نحو أيّ مخاطب، ولم تتغيّر هذه العلاقة التّلازميّة بين جملتي الأمر والنّهيّ وجملة النّداء الّتي ضمّتها في أغلب أنماط تراكيبها، ممّا يعكس قوّة الفعل الإنجازيّ في الخطاب القرآنيّ خاصّة عندما تجتمع هذه الجمل الثلاث متكاملة في الخطاب الواحد ومتعاضدة خدمة للوظيفة التّواصليّة ذاتها.

والنّموذج القرآنيّ الآتي خير دليل في قوله تعالى:↓ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١)الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)**↑ **(البقرة: 21/ 22).**

فالقصد المتوخّى من النّداء القرآنيّ أن ينتبه المنادى فيصغي إلى ما يُلقى إليه؛ لأنّ كلّ ما نادى الله تعالى به عباده من أوامر ونواهٍ، وعظات وزواجر، ووعد ووعيد، ونحو ذلك ممّا أنطق به كتابه أمور عظام، ومعانٍ جسام، ينبغي أن يتيقّظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها، لتحقيق غاية أشرف، غاية التّوحيد.[11]

والنّداء أسلوب تكرّر في مقامات الطّلب في سورة البقرة بأشكال مختلفة ونسب متفاوتة، وجاء في جميع الآيات القرآنيّة الواجهة والمدخل الرّئيس عند أيّ بؤرة من بؤر التّواصل؛ لأنّه يُحفّز المتلقّي (المنادى) لردّة فعل تجاه المتكلّم (الله سبحانه وتعالى) محتلاً بذلك كثافة نسبيّة قُدرت في سورة البقرة بسبع وثلاثين (37) جملة ندائيّة.

ولقد كان أوّل نداء في القرآن الكريم - عامّة - وفي سورة البقرة - خاصّة – **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ)**، وهذا دليل على شموليّته ورسالته العالميّة، وتوجّهه إلى جميع النّاس، ومن ثمّة يبدأ تخصيص النّداء حسب نوع الخطاب الّذي يسعى القرآن إلى تبليغه[12]؛ ففي سورة الأعراف أوّل نداء كان خطابا خاصّا موجّها لآدم عليه السّلام، في قوله تعالى: ↓ **وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا** ↑**(الأعراف: 19)**، وهو خطاب يُحيل على الحيثيات الملابسة لقصة آدم عليه السلام، الأولى في الجنّة، الّتي ورد ذكرها في سورة البقرة من خلال قوله تعالى:↓ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا**↑ **(البقرة :35)**، فكان خطاب تشريف وتكليف معاً.

والتّعبير القرآنيّ بأسلوب النّداء كان مقتصرا على يائه الّتي هي أمّ الباب، حيث تغيّرت دلالاتها من البعيد إلى القريب قرباً حسيّاً أو معنويّا عكس ما هو مألوف؛ وبالتّالي أكسبت الخطاب دلالات مجازية وقوى إنجازيّة مستلزمة، تفرّعت عن القوّة الأصل؛ ألا وهي التّنبيه.

IV - الدّلالات والوظائف الإبلاغيّة لمؤشر النّداء "يا":

أصل النّداء بـ**"يا"** أن تكون للبعيد بعدا حقيقيّا، وقد يُنادى بها القريب لنكت لنكت:[13]

أوّلا- نداء الله لعباده:

من خلال استقراء الآيات القرآنيّة الّتي ورد بها النداء في سورة البقرة يُلحظ أنّ النّداء من الله لعباده خُصّ بالمؤشّر النّدائيّ (**يا**) دون غيره من الحروف، ولم توجد آية بها نداء في هذا المقام، إلاّ بهذا المؤشّر الإنجازيّ، من قبيل قوله تعالى: ↓ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣)**↑ **(البقرة:153)**، ولعلّ السّرّ في استخدام هذا المؤشّر الإنجازيّ (**يا**) في نداء الله تعالى لعباده يرجع إلى حِكم ذات وظائف تواصليّة منها:

أ- نادى سبحانه وتعالى عباده بما فيهم رسله بالياء لتأكيد قربهم منهم.

ب- إنّ مؤشّر القوّة الإنجازيّة النّداء (**يا**) يتصّف بالمرونة؛ إذ يُستخدم لكلّ مقامات النّداء، فيُنادى به القريب والمتوسّط والبعيد، ولكون درجات القرب المعنويّ من الله عزّ وجلّ متفاوتة بين البشر؛ فإنّ خطاب الله تعالى لعباده بهذا الحرف أدقّ من غيره؛ فالله عزّ وجلّ يُخاطب عموم النّاس سواء المؤمنين كما في سورة البقرة أم غيرهم، ومنهم المقرّبون **(يَا**

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، وَيَا آدَمُ)، ومنهم غير ذلك (**يا بني إسرائيل)**؛ فكان من المناسب جدّاً استخدام **(يا)** للنّداء ليعمّ الخطاب النّاس أجمعين بمختلف مراتبهم ودرجة قربهم من المولى سبحانه وتعالى.

ج- إنّه لعظم الذّات الإلهيّة وشرف منزلتها كان من الطّبيعيّ الفصل بحرف النّداء بين ما يصدر منه تعالى ويصدر له من دعاء وتضرّع.

ثانيّا: نداء ودعاء العباد لله جلّ وعلا:

من الملاحظ أيضا في آيات سورة البقرة أنّ نداء العباد لخالقهم لا يكون مصدّرا بحرف نداء، بل يكون حرف النّداء مقدّرا، ويرجع ذلك إلى لطائف إبلاغيّة:

أ- إنّ الله قريب من عباده، بدليل قوله تعالى:**↓ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ↑ (البقرة: 186)**، وقال جلّ وعلا: **↓ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ↑**[14]، والقرب المقصود هنا كما بيّنه أهل العلم والاختصاص هو قرب بعلمه جلّ شأنه، قال السّعديّ (ت 1376هـ) في تفسيره: « القرب نوعان: قرب بعلمه من كلّ خلقه، وقرب من عابديه وداعيه بالإجابة »[15]؛ لذا فنداء البشر لله تعالى لا يحتاج إلى أداة لقربه الشّديد منهم، وحذف الأداة (يا) كان أدقّ وأبلغ تعبير عن هذا القرب الوجدانيّ.

ب- إنّ الله سبحانه وتعالى لعلمه بعباده وشدّة قربه منهم لا حاجة في مخاطبته أو ندائه لأداة؛ لأنّ أدوات النّداء من قوّتها الإنجازيّة تنبيه المخاطَب، وهذا التّنبيه لا حاجة له عند مخاطبة الله عزّ وجلّ.[16]

كما هو معروف في الدّراسات الوظيفيّة أنّ مركّب النّداء هو ما تألّف من ثنائيّة (جملة النّداء وجوابها)؛ لأنّ جملة النّداء المتكوّنة من مؤشّر القوّة الإنجازيّة (أداة النّداء: يا، وØ كما في الدّعاء، والفعل الماضي (نادى) المبني للمعلوم و(نودوا) المبني للمجهول اللّذين ورد ذكرهما في سورة الأعراف)، والمكوّن المنادى تعدّ مجرّد مقدّمة توجيهيّة لأسلوب النّداء لا غير؛ حيث لا تستقيم الدّراسة الوظيفيّة ومعرفة القوى الإنجازيّة والدّلالات الإبلاغيّة لها بالتوقّف عند حدودها الّتي لابدّ أن تنفتح على جملة جواب النّداء كي يكتمل المعنى[17]، وأيّ فصل بين طرفي ثنائيّة مركّب النّداء يهدّم أساس بنيان أسلوب النّداء برمّته؛ لأنّه لا يمكن أن يتمّ الاكتفاء بأحدهما دون الآخر، ذلك أنّ الدّراسة الوظيفيّة تعتمد السّيّاق موجّها لمعاني جلّ التّراكيب.[18]

V- طبيعة المكّون المنادى وأثره في تحديد نوع• القوّة الإنجازيّة للنّداء:

كما هو معروف في الدّراسات الوظيفيّة أنّ مركّب النّداء هو ما تألّف من ثنائيّة (جملة النّداء وجوابها)؛ لأنّ جملة النّداء المتكوّنة من مؤشّر القوّة الإنجازيّة (أداة النّداء: يا، وØ كما في الدّعاء، والفعل الماضي (نادى) المبني للمعلوم و(نودوا) المبني للمجهول اللّذين ورد ذكرهما في سورة الأعراف)، والمكوّن المنادى تعدّ مجرّد مقدّمة توجيهيّة لأسلوب النّداء لا غير؛ حيث لا تستقيم الدّراسة الوظيفيّة ومعرفة القوى الإنجازيّة والدّلالات الإبلاغيّة لها بالتوقّف عند حدودها الّتي لابدّ أن تنفتح على جملة جواب النّداء كي يكتمل المعنى[19]، وأيّ فصل بين طرفي ثنائيّة مركّب النّداء يهدّم أساس بنيان أسلوب النّداء برمّته؛ لأنّه لا يمكن أن يتمّ الاكتفاء بأحدهما دون الآخر، ذلك أنّ الدّراسة الوظيفيّة تعتمد السّيّاق موجّها لمعاني جلّ التّراكيب.[20]

وأسلوب النّداء (المؤشّر + المكّون المنادى) في دلالاته الحقيقيّة والمجازيّة كثيرا ما تزاحمه أساليب الأمر والنّهيّ **و** في سورة البقرة، لذا يصعب الفصل بينهما، فغالبا ما تكون القوّة الإنجازيّة المستلزمة خاصّة لجملة جواب النّداء هي الحكم والفصل الّذي يحدّد قوّة أسلوب النّداء الإنجازيّة المستلزمة، والآية الشّريفة الآتيّة توضّح ذلك: **↓ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالا طَيِّبًا ↑ (البقرة: 168).**

إنّ أسلوب النّداء يتكّون من المؤشّر **(يا)** والمنادي **(أيّ)**، والمقصود بالنّداء لفظ **(النَّاسُ)** والهاء الّتي تحدّد القوّة الإنجازيّة الحرفيّة لجملة النّداء **↓ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ↑** والمتمثّلة في التّنبيه. وعزل جملة النّداء السّابقة عن مضمون النّداء (جملة الجواب) وسيّاقه، يجعل منها شكلا واحدا لا تتعدّد صوره الإبلاغيّة إلاّ بتغيّر شخص المنادى؛ في حين أنّ جملة جواب النّداء الأمريّة **↓ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالا طَيِّبًا ↑** حملت قوّة إنجازيّة مستلزمة أفادت معنى الوجوب، وهو غاية النّداء ومطلبه، حيث قيل: نزلت الآية في القوم الّذين حرّموا على أنفسهم البحائر والسّوائب والوصائل ونحوها، وهم قوم من ثقيف وخزاعة وبني عامر بن صعصعة وبني مدلج[21]؛ فأباح الله لهم أكل ما حرّموه، وجعله لهم حلالا طيّبا.

وفي معنى النّداء توبيخ للقوم الّذين يحرّمون الأكل الحلال الطيّب[22]، وجملة النّهيّ المعطوفة على جملة الأمر- في هذه الآية - توّضح ذلك أكثر في قوله جلّ شأنه: **↓ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ↑ (البقرة:168)**. يقول في ذلك الطّاهر بن عاشور (ت1394 هـ): « فالخطاب بـ: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ)** موجّه إلى المشركين، كما هو شأن الخطاب بـ: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ)**، والأمر في قوله: **↓ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ ↑** مستعمل في التّوبيخ على ترك ذلك وليس للوجوب ولا للإباحة؛ إذ ليس الكفّار بأهلٍ للخطاب بفروع الشّريعة، فقوله عزّ وجلّ **(كُلُوا)** تمهيد لقوله جلّ وعلا بعده **↑↓ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ↑** ».[23]

تخيّل لو فُصلت جملة جواب النّداء الأولى ↓ **كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالا طَيِّبًا** ↑ بذاتها عمّا سبقها في تركيب النّداء ↓**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**↑ وعمّا بعدها؛ أي عن جملة جواب النّداء الثّانيّة ↓ **وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**↑، لاستقلّت وحدّدت مجالا دلاليّا مغايرا تماما، يحقّق قوّة إنجازيّة حرفيّة هي الأمر، لا غير، دون توبيخ ولا تقريع.

إليك التّحليل الوظيفيّ للآية الكريمة السّابقة:↓ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالا طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨)**↑، تمثّل هذه العبارة اللّغويّة الشّريفة حمولة دلاليّة تتكوّن من:
أ- جملة النّداء: ↓ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ** ↑، وتتمثّل في: المؤشّر (**يا**) + المكوّن المنادى ↓ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ** ↑ وتتألّف من:

محتوى قضوي: خطاب الله عزّ وجلّ جميع النّاس.

قوّة إنجازيّة: قوّة إنجازيّة حرفيّة، التّنبيه بالأداة (**يا**).

ب1- المعنى الصّريح: يتألّف من:

- محتوى قضوي: الدّعوة إلى الأكل الحلال الطّيّب ممّا في الأرض.

- قوة إنجازية حرفيّة: الأمر عن طريق الفعل الصريح (☎**كُلُوا**)، الّذي يمثّل مؤشّر القوّة الإنجازيّة الأمر.

ب2- المعنى الضّمني: يتألّف من:

- معنى عرفي: اقتضاء الدّعوة إلى التّمتّع بالطّيّبات.

- معنى مستلزم (قوّة إنجازيّة مستلزمة): إباحة الأكل الحلال الطّيّب.

ج- جملة جواب النّداء الثّانية: ↓ **وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ↑ وتمثّل الحمل الثّاني، وهي كذلك تمثّل حمولة دلاليّة، تتكوّن من:
ج1- المعنى الصّريح: يتألّف من:

- محتوى قضوي: عدم اتّباع خطوات الشّيطان.

- قوّة إنجازيّة حرفيّة: النّهي بالأداة **"لا"**.

ج2- المعنى الضّمني: ويتألّف من:

- معنى عرفي: اقتضاء النّهيّ عن اتّباع خطوات الشّيطان.

- معنى مستلزم: توبيخ للقوم الّذين يحرّمون الأكل الحلال الطّيّب.

والوظيفة الإبلاغيّة التّوبيخ مع التّقريع هي التي سعت الآية الشّريفة برمّتها إلى تحقيقها، لكن تغيّر طبيعة المنادى في مقام تواصليّ آخر مع حمل شريف ذي محتوى قضوي شبيه بالمحتوى القضوي للحمل الأوّل من الآية الشّريفة السّابقة ↓ **كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالا طَيِّبًا**↑ يؤدّي حتما إلى تغيّر معاني الحمولة الدّلاليّة للآية الشّريفة المرتبطة بالمقام التّخابريّ الجديد.

فَحين خاطب الله تعالى النّاس جميعا يدعوهم إلى التّمتّع بالطّيّبات، قال: ↓ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالا طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨)**↑ **(البقرة: 168)**. وحين خاطب المؤمنين خاصّة، قال جلّ شأنه:↓ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢)**↑ **(البقرة: 172)**، ففرّق تعالى بين الحمولتين الدّلاليتين للآيتين الشّريفتين من خلال التّفريق ما بين ↓ **مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالا طَيِّبًا** ↑ وبين :↓ **كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ** ↑، فكأنّما هما دائرتان للاختيار وليست دائرة واحدة، الأولى تشمل جميع ما في الأرض من حلال طيّب، والثّانيّة من طيّبات هذا الحلال الطّيّب؛ لأنّ الخطاب في الأولى بـ ↓ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ**↑، وفي الثّانيّة بالنّداء الحبيب الجميل ↓ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**↑ ، حيث اقترن الأكل في الأولى بالنّهيّ عن اتّباع خطوات الشّيطان، واقترن في الثّانيّة بوجوب شكر الله عزّ وجلّ.(24)

رغم أنّ المؤشّر الإنجازيّ للخطاب بالنّداء في الآيتين الشّريفتين واحد، هو الياء (**يا**) والمحتوى القضوي الأساس لكلّ منهما واحد كذلك، تمثّل في الدّعوة إلى الأكل الحلال الطّيّب، إلاّ أنّ الوظيفة الإبلاغيّة للآية الكريمة الأولى (توبيخ المشركين نتيجة تحريمهم الأكل الطّيّب الذي أحلّه الله) تختلف عن الوظيفة الإبلاغيّة للآية الشّريفة الثّانيّة (تكريم المؤمنين من خلال دعوتهم إلى الأكل من طيّبات الحلال الطّيّب ونصحهم بأن يشكروا الله عزّ وجلّ)، ومَرَدُّ هذا

الاختلاف إلى أنّ نداءه تعالى للمؤمنين لما فيه من مقام التّشريف يختلف عن ندائه للكافرين لما فيه من الحطّ من شأن المنادى وإبعاده، وهنا تظهر تبعيّة البنية للوظيفة التّواصليّة المتوخّاة من كلّ آية شريفة.

وحتّى يُتمكّن من معرفة هذه الدّلالات الإبلاغيّة، وجب العودة إلى طبيعة المنادى وعلاقته بالمنادي "الله سبحانه وتعالى":« الذي يملك سلطة الخطاب في أسلوب النّداء »[25] من خلال تحديد مراتب المنادى حسب درجة قربه أو بعده منه.

VI- الوظائف الإبلاغيّة للقوى الإنجازيّة لجملة النّداء:

يعدّ مفهوم القوّة الإنجازيّة كلّ ما يُواكب جملة ما من مقاصد أثناء العمليّة التّواصليّة، وفي الخطاب القرآنيّ -تحديدا- في سورة البقرة، تحمل الحمولة الدّلاليّة لجملة النّداء قوّتين إنجازيّتين: أصليّة ومستلزمة، والمستلزمة قد تتعدّد إلى قوى إنجازيّة أخرى مستلزمة.

أ- القوّة الإنجازيّة الأصليّة:

تُحقّق آليّة النّداء في سورة البقرة قوّة إنجازيّة حرفيّة يحدّدها التّركيب النّحويّ لجمل النّداء الشّريفة؛ تتمثّل في طلب الإقبال والاهتمام بمضمون الخطاب (جملة جواب النّداء)، والتّنبيه إلى أمر يستدعي التّعاطي مع حيثيّاته بانفعال وتفاعل تامّين يكشفان المقصد الأسمى من حاجة المخاطب لمثل هذا النّداء.[26]

ولكي تكون الحمولة الدّلاليّة للآية الشّريفة ذات قوّة إنجازيّة حرفية/ أصليّة، يجب أن يجري الخطاب فيها على الأصل، وأن يكون التّنبيه والإقبال غير حاصلين وقت الطّلب، مع توظيف مخصّص النّداء **(يا)** أصالة لنداء البعيد، ويتحقّق هذا الشّرط مع الآيات الشّريفة الوارد فيها الخطاب مصدّرا بـ **(يَا أَيُّهَا)**، وذلك لما في المؤشّر **(يا)** من دلالة أصليّة للنّداء البعيد بعدا حقيقيّا كامنا في علّوه سبحانه وتعالى•، ولما في **(أيّ)** من التّدرج من المبهم إلى الأوضح في الدّلالة وكذا أداة التّنبيه **(ها)** التي تستدعي انتباه المخاطَب لما سيرد عليه من أحكام لم تكن حاصلة أثناء الطّلب.

وصيغة **(يَا أَيُّهَا)** كُثُر استعمالها في سورة البقرة، حيث تكرّرت ثلاث عشرة مرّة، إحدى عشرة مرّة كان الخطاب فيها موجّها نحو المؤمنين بصيغة **↓ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا↑** وسرّ ذلك هو أهميّة المقاصد الّتي نادى الحقّ تبارك وتعالى عباده ليسمعهم إيّاها، ومرّتين بصيغة **↓ يَا أَيُّهَا النَّاسُ↑**، والخطاب بـ **↓ يَا أَيُّهَا النَّاسُ↑** لجميع البشر على اختلاف مراتبهم وأجناسهم[27] ، ومن النّماذج القرآنيّة الّتي حَوَت جملها النّدائيّة قوى إنجازيّة أصليّة:

النّموذج الأوّل:- قوله جلّ وعلا: **↓يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١)↑ (البقرة: 21)**، في هذه الآية الكريمة وجهان من التّأويل، على أساسهما تتحدّد طبيعة القوّة الإنجازيّة.

الوجه الأوّل: إذا كان الخطاب بـ **↓ يَا أَيُّهَا النَّاسُ↑** موجّها إلى الكفّار ومشركي مكّة تحديدا، فإنّ الحمولة الدّلاليّة للجملة الشّريفة:**↓ يَا أَيُّهَا النَّاسُ↑** ذات قوّة إنجازيّة حرفيّة هي التّنبيه والإقبال الكلّيّ لما وُجّهَ النّداء من أجله وهو الدّعوة إلى العبادة؛ حيث عبّر بالمؤشّر **(يا)** الدّال على النّداء البعيد، رغم أنّ الله عزّ وجلّ أقرب إلى عباده من حبل الوريد، فكان حقّه عزّ وجلّ استعمال حرف نداء يفيد القرب، لكنّه تعالى آثر توظيف **(يا)** الدّالة أصالة على البُعد؛ ذلك أنّ الخطاب موجّه إلى مشركي مكّة[28] - كما سبق ذكره - البعيدين عن رحمة ربّهم، وعن فضله وكرمه، لبعدهم عن عبادته، الّتي لم تكن حاصلة وقت مخاطبتهم، وقرينة الحال الدّالة على ذلك الجملة الشّريفة **↓ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ↑**. أمّا الوظيفة التّواصليّة الّتي أدّاها النّداء بـ **(يَا أَيُّهَا)** هي الإقبال على موعظة نبذ الشّرك، وذلك هو غالب اصطلاح القرآن الكريم في الخطاب بـ **↓ يَا أَيُّهَا النَّاسُ↑** [29] ، والقرينة هنا قوله عزّ وجلّ:**↓ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ↑ (البقرة: 22).**

الوجه الثّاني: إذا كان الخطاب بـ **↓ يَا أَيُّهَا النَّاسُ↑** موجّها إلى كافة البشر وأنواع المكلّفين من المؤمنين المتّقين والكافرين المعاندين والمنافقين المذبذبين[30]، فإنّ الحمولة الدّلاليّة لجملة النّداء الشّريفة تحمل قوّة إنجازيّة مستلزمة، إضافة إلى قوّتها الإنجازيّة الأصليّة؛ (التّنبيه) وراجع ذلك إلى طبيعة المكوّن المنادى ومرتبته عند الله عزّ وجلّ، إضافة إلى وظيفة كلّ عنصر من العناصر المتكاثفة للصّيغة **(يَا أَيُّهَا)**.[31]

يقول صاحب رسائل النّور محلّلا الخطاب النّدائي السّابق تحليلا وظيفيّا:« أمّا نظم الجمل فـ: **↓يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ↑** خطاب لكلّ إنسان من الفرق الثّلاث،... أي: أيّها المؤمنون الكاملون اعبدوا على صفة الثّبات والدّوام، وأيّها المتوسّطون اعبدوا على كيفيّة الازدياد... وأيّها الكافرون افعلوا العبادة مع شرطها من الإيمان والتّوحيد... وأيّها المنافقون اعبدوا على صفة الثّبات والدّوام، فالعبادة هنا كالمشترك المعنويّ »[32]، وهنا تتجلّى وظيفة كلّ فرقة من الفرق الثّلاث.•

وأمّا نظم كيفيّات وهيئات جملة النّداء السّابقة حسب الوظيفة الإبلاغيّة لكلّ عنصر فيها، فاعلم أنّ كلمة **(يَا أَيُّهَا)** مؤكّدة بوجوه ثلاثة[33]: بما في **(يا)** من الإيقاظ، وما في **(أيّ)** من التّوسم، وما في **(ها)** من التّنبيه؛ بمعنى مقابلة مشقّة التّكليف بلذّة الخطاب، وارتقاء الإنسان من حضيض الغيبة إلى مقام الحضور، وإشارة إلى أنّ المخاطَب مكلّف بالعبادة

بجهات ثلاث: باعتبار قلبه بالتّسليم والانقياد لخالقه، ومن جهة عقله بالإيمان والتّوحيد، وبالنظر إلى قالبه بالعمل والعبادة.

بناء على هذه اللّطائف والنّكت، تكون التّأكيدات في الخطاب مؤسّسة من تلك الجهات الثلاث، وعلى ضوئها تتجلّى الدّلالات الإبلاغيّة لعناصر صيغة النّداء كما يأتي:[34]

أمّا النّداء - تحديدا - في **(يا)** فلأنّ المنادى هو النّاس، المشتمل على الطّبقات المختلفة من المحبّين والطّالبين والغافلين والغائبين والسّاكنين والجاهلين والمنشغلين والمعرضين يكون هذا النّداء للتّنبيه، الّذي يعدّ قوّته الإنجازيّة؛ وكذا يكون للإحضار، وكذا للتّحريك، وكذا للتّعريف، وكذا للتّوجيه، وكذا للتّهيّيج، وكذا للتّشويق، وكذا للازدياد، وكذا لهزّ العطف، وكلّها قوى إنجازيّة مستلزمة ومتفرّعة عن الأصل (التّنبيه)؛ وتفيد في مضمونها دعوة إلى إيقاظ النّفوس وتحريك المشاعر طلبا للتّوحيد.

وأمّا دلالة البعد في **(يا)** مع أنّ المقام مقام قُرب فإشارة إلى بُعد درجة العبوديّة عن مرتبة الألوهيّة، كما رُمز البعد إلى بعد أعصار {عصور} المكلّفين من الفرق الثّلاث عن محلّ وزمان ظهور الخطاب لأوّل مرّة، وهنا تظهر شموليّته ورسالته العالميّة لكلّ عصر ومَصر... وأيضا إشارة إلى شدّة غفلة البشر عن العبادة.

وأمّا **(أيّ)** الموضوع للتّوسّم من العموم فرمز إلى أنّ الخطاب موجّه لعموم الكائنات، فيخصّص من بينها من يعقل (الإنسان) بتحمّل الأمانة، وأيّ قصور منه، يلحق جميع الكائنات.

وأمّا **(ها)** إشارة إلى تنبيه من نُودي بـ **(يا)**، والخطاب بلفظة **(النَّاسُ)** يحمل وظيفتين تواصليّتين هما: وظيفة العتاب؛ أي(أيّها النّاس كيف تنسون ميثاق ربّكم الأزلي؟)، ووظيفة العذر؛ أي (أيّها النّاس لابدّ أن يكون قصوركم عن عبادة المولى عزّ وجلّ ناتج عن السّهو والنّسيان لا بالعمد والجدّ!).[35]

النّموذج الثّاني: الخطاب بـ ↓ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا•↑:

خصّت سورة البقرة المؤمنين بمساحات واسعة للخطاب، الّذي توزّع فيه بين الأمر والنّهيّ والتّرغيب في التّقوى والحثّ على ملازمة مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال، فكان الخطاب إلى أهل الإيمان يعمد إلى توضيح حكم من أحكام الشّريعة الإسلاميّة.

وقد صنّف محمّد متولي الشّعراوي نداءات الواحد المنّان لأهل الإيمان في سورة البقرة ورتّبها في إحدى عشر نداء حسب الدّلالة الإبلاغيّة لكلّ نداء، وهي كالآتي:[36] (نداء توقير النّبيّ صلىّ الله عليه وسلّم واحترامه، ونداء الاستعانة بالصّبر والصّلاة، ونداء أكل الطيّبات، ونداء القصاص في القتلى، ونداء فريضة الصّيام، ونداء شموليّة الإسلام، ونداء الإنفاق في سبيل الله، ونداء الإخلاص في الصّدقة، ونداء الإنفاق من الكسب الطّيب، ونداء التّحذير من الرّبا، ونداء أحكام الدّين في الإسلام)؛ الملاحظ على جميع هذه النّداءات أنّها تحمل قوّة إنجازيّة أصليّة واحدة هي التّنبيه، تحدّدها صيغة **↓يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا↑** بصرف النّظر عن بقيّة القوى الإنجازيّة المستلزمة الّتي يحدّدها حمل (مضمون النّداء) كلّ آية على حده، ومدام المقام مقام الحديث عن القوّة الإنجازيّة الأصليّة، يكتفي التّحليل بنموذج قرآنيّ واحد.

يقول الحقّ تبارك وتعالى:**↓ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)↑ (البقرة: 183)**. ورد النّداء في هذه الآية الكريمة بطريقة **(يَا أَيُّهَا)**، لاستقلاله بأوجه من التّوكيد والتّنبيه، أمّا الخطاب بـ **↓ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا↑** ، فهو خطاب للمؤمنين «على طريق القرآن في إطلاق هذه الصّفة عليهم، ولأنّ شأن اسم الموصول أن يكون بمنزلة الاسم المعرّف بلام العهد »[37] ، وهو نداء للمؤمنين وأمر لمن آمن بالله عزّ وجلّ ورضي به إلها ومُشرّعا؛ لأنّه يدلّ على أنّ ما يأتي من بعد هذا القول **↓ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا↑** هو تكليف لمن آمن بالله، وليس تكليفا للنّاس عامّة؛ فالله لا يكلّف كافرا أو غير مؤمن، إنّما يكلّف من آمن به.[38]

ووجه التّكليف في هذه الآية الكريمة ما دلّ عليه الحمل الشّريف (جملة مضمون النّداء) **↓ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ↑** ، وهو أمر صريح بوجوب أداء فريضة الصّيام، والأمر بالصّيام وفرضه على أهل الإيمان مهّد له النّداء الصّريح الموجّه للفئة المؤمنة بما تقتضيه صفة الإيمان الّتي نوديت بها من المبادرة والإقبال بغية الإتيان بمضمون الأمر على الوجه الأكمل الّذي يليق بمنزلته تعالى، ومن ثمّة يليق بعباده المؤمنين.[39]

إنّ نداء الرّحمان لأهل الإيمان لمّا كان مقدّمة لأمر **↓ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ↑** ، أو نهيّ نحو قوله تعالى: **↓ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤)↑ (البقرة: 104)**، أولهما معا كما في قوله جلّ وعلا: **↓ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٠٨)↑ (البقرة: 208)** يتعلّقان بحكم من أحكام التّشريع، وهو شموليّة الإسلام، جاء؛ أي نداء المؤمنين مصدّرا بحمولة دلالية شريفة **↓ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ↑** ذات قوّة إنجازيّة حرفيّة (أصليّة)، ألا وهي التّنبيه والتّوكيد على التّنويه بالأمر المنادى له، والّذي لم يكن حاصلا أثناء النّداء، مع تشريف المنادى (المؤمنين).

يقول البيضاوي (ت 685هـ) في تفسيره لآية: **:↓ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)↑:« يعني الأنبيّاء والأمم من لدن آدم عليه السّلام، وفيه توكيد للحكم وترغيب في الفعل وتطيّيب على النّفس »[40]. فالتّوكيد للحكم هو القوّة الإنجازيّة لصيغة النّداء، والتّرغيب في فعل الصّوم هو الدّلالة الإبلاغيّة الّتي تحملها لفظة (المؤمنين) المكلّفة بالخطاب، أمّا الوظيفة التّواصليّة للآية الشّريفة برمّتها هي تطيّيب النّفس وحملها على كسر شهواتها بالصّوم، والقرينة الدّالة على ذلك **↓ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ↑**.

ومن أضرب نداء أهل الإيمان وصوره في سورة البقرة، أن يُنَادوا بصفات أخصّ من صفة الإيمان، وهي صفة اللّب والعقل، وقد جاء النّداء عقب الجملة الّتي نودوا من أجلها وهي طريقة أخرى[41]، كما في قوله عزّ وجلّ:**↓ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)↑ (البقرة: 179)**؛ تقدّم مضمون النّداء **↓وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ↑** عن جملة المنادى **↓ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ↑** لعلّة الاهتمام بالأمر المنادى لأجله، وهو جائز لغة[42]. وفي صيغة النّداء **↓ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ↑** قوّة إنجازيّة أصليّة، هي تنبيه أصحاب العقول على التّأمّل في مشروعيّة القصاص؛ لأنّ حكمة القصاص لا يُدركها إلاّ ذووا العقول المبصرة الخالصة من شوب الهوى، أمّا وظيفة تخصيص المنادى فهي قدرة **↓ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ↑** على النّظر في عواقب الأمور، والتّأمل في حكمة (القصاص) من استبقاء الأرواح وحفظ النّفوس.[43]

يقول الطّاهر بن عاشور في ذات المقام:« وفي قوله **↓ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ↑** تنبيه بحرف النّداء على التّأمّل في حكمة القصاص، ولذلك جيء في التّعريف بطريقة الإضافة الدّالة على أنّهم من أهل العقول الكاملة؛ لأنّ حكمة القصاص لا يُدركها إلاّ أهل النّظر الصّحيح ».[44]

وأمّا وظيفة التّنكير في **(حَيَاةٌ)** المتعلّقة بمضمون النّداء، فهي للتّعظيم بقرينة المقام؛ أي في القصاص حياة لكم؛ فإنّ فيه ارتداع النّاس عن قتل النّفوس الّتي حرّمها الله إلاّ بالحقّ، فلو أُهمل حكم القصاص لما ارتدع النّاس[45]، وهنا تظهر تبعيّة البنية للوظيفة التّواصليّة. في حين جاءت الجملة التّعليليّة **↓ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ↑** داعيّة إلى وجوب اجتناب المعاصي المفضية إلى العذاب أو القتل بالخوف من القصاص.[46]

النّموذج الثّالث: الخطاب بـ (يَا آدَمُ):

النّداء مخاطبة الأبعد، والمناجاة مخاطبة الأقرب؛ ولأجل هذه النّكتة أخبر سبحانه وتعالى عن مخاطبته لآدم وحوّاء عليهما السّلام بقوله:**↓ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥)↑ (البقرة: 35)**، وفي موضع آخر:**↓ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا↑ (الأعراف: 19)**، ثمّ لما حكى عنهما ملابسة المخالفة، قال جلّ وعلا في وصف خطابه لهما: **↓وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ↑ (الأعراف: 22)** فأشعَر هذا اللّفظ بالبعد لأجل المخالفة، كما أَشعرَ اللّفظ الأوّل بالقرب عند السّلامة[47]؛ بمعنى أنّ وظيفة مؤشّر النّداء **(يا)** أفادت معنى قرب آدم وحوّاء من الله عزّ وجلّ وتكريمه لهما. فنداء الله عزّ وجلّ لآدم عليه السّلام قبل تخويله سكن الجنّة يدلّ على التّشريف والتّكريم؛ لأنّ نداءه بين الملأ الأعلى يستدعي الانتباه والتطلّع لما سيقع ويحمل مضمون النّداء **↓ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ↑** في كلا الآيتين خطابا لآدم وحواء عليهما السّلام بقرينة المقام، وقد أُمِرَا باتّخاذ الجنّة مأوى ومنزلا، والأكل من ثمارها الطّيّبة.[48]

إنّ القوّة الإنجازيّة الأصليّة لجملة النّداء **(يَا آدَمُ)** في سورة البقرة، الآية 35، وسورة الأعراف الآية 19 واحدة، وهي تّنبيه المأمورين (آدم وحوّاء) لما يلقى عليهما من الأمر للقيام به؛ إذ هو من الأمور المهمّة الملفتة للانتباه، والّتي يدلّ عليها مخصّص الأمر**(اسْكُنْ)** للقوّة الإنجازيّة للحمل الشّريف **↓ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ↑**، «ولا يدلّ معنى الفعل **(اسْكُنْ)** على الاستقرار؛ لأنّه فعل أمر، ولم يكن الخطاب بالماضي كـ **"أسكنتك"** مثلا؛ لأنّه ما خلف إلاّ لعمارة الأرض ».[49]

إنّ خطاب الأمر بسكن الجنّة والأكل من ثمارها الطّيّبة تكرّر مرّتين في آيتي (البقرة والأعراف) على سبيل الإباحة لا الوجوب، وهو الوظيفة الإبلاغيّة الّتي سعت كلّ آية إلى تحقيقها رغم اختلاف بنية كلّ واحدة منهما، مادامت الغاية واحدة، وللسّيوطي رأي في ذلك؛ إذ ذكر: « **↓ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا ↑**، وفي الأعراف **(فَكُلا)** بالفاء، قيل لأنّ السّكنى في (سورة البقرة) الإقامة، فلما نسب القول إليه تعالى: **↓ وَقُلْنَا يَا آدَمُ ↑** ناسب زيادة الإكرام بالواو الدّالة على الجمع بين السّكنى والأكل، ولذا قال فيه **(❻◆◣☒⑨✂)**، وقال **↓ حَيْثُ شِئْتُمَا ↑** لأنّه أعمّ، وفي الأعراف **(وَيَا آدَمُ)**، فأتى بالفاء الدّالة على ترتيب الأكل على السّكنى المأمور باتّخاذها؛ لأنّ الأكل بعد الاتّخاذ، و**↓ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا↑** لا تعطي عموم معنى **↓ حَيْثُ شِئْتُمَا ↑**»[50]، فهذا الخطاب منه جلّ وعلا لنبيّه آدم - عليه السّلام - في الآيتين جمع مختلف ضروب الإكرام بالعيش الهنيء الّتي اختصرتها كلمة **(رَغَدًا)**.[51]

النّموذج الرّابع: الخطاب بـ (يا قوم):

- قال عزّ وجلّ:↓ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ↑ (البقرة: 54).

يُلحظ من خلال هذه الآية الكريمة أنّ النّداء بلفظ **(يَا قَوْمِ)** جرى على لسان النبيّ موسى عليه السّلام الّذي اقتصرت رسالته على قومه بني إسرائيل، بينما الرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلم فلم يجر على لسانه النّداء بلفظ **(يَا قَوْمِ)**؛ لأنّ رسالته كانت للبشريّة قاطبة، كما يلحظ أنّ بنية جملة النّداء في الآية السّابقة جاءت عن طريق المؤشّر الإنجازيّ للنّداء **(يا)** ومكوّن المنادى **(قوم)**، وهو مضاف إلى ياء المتكلّم المحذوفة جوازا، تدلّ عليها الكسرة في آخر المضاف، والتّقدير **(يا قومي)**•، والياء تدلّ على المنادي، وهو موسى عليه السّلام، الّذي نادى قومه بهذا اللّفظ قصد تنبيههم واستمالتهم إليه.

فمثلا، المكوّن المنادى **(قوم)** في سورة البقرة يحمل كفاية نفسيّة، وهي أن يستميل موسى عليه السّلام قلوب قومه بني إسرائيل إليه حتّى يسمعوا حديثه ومحاورته لهم حين عاد من الميقات ووجدهم قد عبدوا العجل؛ وعليه تضمّنت الحمولة الدّلاليّة لجملة النّداء **(يَا قَوْمِ)** قوّة إنجازيّة أصليّة هي التّنبيه على الضلال. أمّا مضمون النّداء فورد جملة خبريّة مؤكّدة بـ: إنّ، تحمل وظيفة تواصليّة، مفادها أنّ القوم ظلموا أنفسهم بعبادتهم العجل فاستحقّوا العقاب، وفي تعدية الفعل **(ظلم)** إلى المفعول به **(أَنْفُسَكُمْ)** المضاف إلى ضمير المخاطَبين وظيفة إبلاغيّة تكمن في أنّ ظلم النّفس أشدّ وأفحش أنواع الظّلم، وأيّ ظلم أعظم وأشنع من اتّخاذ العجل إلها من غير الخالق عزّ وجلّ؟!!![52]

لقد جاء الخطاب مصدّرا بالمؤشّر الإنجازيّ (**يا**) الّذي جعل النّداء خالدا خلود القرآن الكريم، لما له من بعد حقيقيّ كامن في بعد بني إسرائيل عن العبادة، ومن قرب حقيقيّ كامن في خوف النبيّ موسى عيه السّلام على حال قومه ممّا هم عليه من ضلالة، لذا قدّم النّداء **(يَا قَوْمِ)** على مضمونه ذي القوّة الإنجازيّة (الأمر) في **↓ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ↑** ليكون أبلغ وآكد، فكلّ نبيّ يُنادي قومه ليحذّرهم ويُنبّههم ويوقظهم من غفلتهم الّتي هم فيها يعمهون.

ب- القوّى الإنجازيّة المستلزمة:

النّداء في الخطاب القرآنيّ أسلوب أُشرب بمعانٍ فرعيّة وضمنيّة إضافة إلى معانيه الأصليّة (التّنبيه والتّأكيد واستمالة المنادى) بغية التكيّف مع مقتضيات خطاب تواصليّ معيّن في مقام معيّن، وذلك بوجود قرائن الحال، من: دلالة المؤشّر الإنجازيّ للنّداء، ورتبة المنادى، ونمط جملة جواب النّداء، وأسباب النّزول... القادرة على تحملّ المعنى الإضافيّ المراد تأديّته في مقام الخطاب، حتى تنسجم ثنائيّة المقام والمقال معاً.[53]

كما أنّ حصر القوى الإنجازيّة المستلزمة الّتي يخرج إليها النّداء في المتن القرآنيّ (سورة البقرة) لا تتحدّد إلاّ بالمعنى الّذي تُحيل عليه كلّ آية شريفة حسب المكوّن السّياقيّ الّذي وُضعت فيه؛ ذلك أنّ أسلوب النّداء قادر على أن يُحيل على التّعجب والذّم والتّلهف والتّنبيه والحسرة والتأسّف والتلذّذ...[54] ، حيث لم يتوّقف عند الحدود التّعريفيّة والمعاني الأصليّة، بل هناك توظيف متنوّع يحوّل التّركيب اللّغويّ النّحويّ والدّلاليّ عن بنيته الحرفيّة المباشرة إلى تحويلات إيحائيّة ومعانٍ ضمنيّة تُستوحى من السّيّاق، تستخلصها العقول والقرائح من القرائن الدّالة عليها[55]، وفي سورة البقرة قوى إنجازيّة مستلزمة (تتضمّنها المعاني الضّمنيّة) جاءت متكرّرة، تتزاحم والقوى الإنجازيّة الحرفيّة، ويصعب حصرها نتيجة تَكرار النّداءات في مقامات تخابريّة ومواقف متشابهة في السّورة؛ تذكر منها النّماذج الآتيّة على سبيل التّمثيل لا الحصر:

- **الدّعاء**: لعلّ أبرز وأبلغ نداء للإنسان في الذّكر الحكيم - عامّة - وفي سورة البقرة - خاصّة- هو نداؤه لخالقه وبارئه، خاضعا متضرّعا متذلّلا، طالبا رحمته وراجيّا مغفرته، وذاك ما يكثر في الدّعاء الّذي كان حاضرا بقوّة في سيّاقات خطاب سورة البقرة، حيث ورد اثنتي عشرة مرّة؛ لكنّ القاسم المشترك بين هذه الأدعيّة جميعها رغم اختلاف مقاماتها هو أنّ دعاء العبد لربّه جاء بصفة الرّبوبيّة لا الألوهيّة، دلّ عليها لفظ **(❻◆☮)** الّذي ورد بصيغة حذف **(يا)** المتكلّم وبقاء الكسر تخفيفا، نحو قوله تعالى:**↓ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى↑ (البقرة: 260)**، كما ورد بصيغة الإضافة إلى ضمير **(نا)** المتكلّمين، نحو قوله جلّ شأنه:**↓ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) ↑ (البقرة: 127)**، وهذا هو شأن الدّعاء في سورة البقرة :« مصدّرا بنداء الرّب، عاريّا من حرف النّداء»[56]، غير أنّ المؤشّر الإنجازيّ **(يا)** لجملة النّداء لم يكن غيابه إلاّ لغرض إبلاغيّ مع أنّه قائم في التّقدير، مُلاَحظ في المعنى، فقد تكون العلّة في حذفه راجعة إلى سهولة التّقدير، وإلى شعور المنادي بقربه من المنادى، فإذا علمت أنّ المولى عزّ وجلّ بائن في خلقه عال فوق عرشه، فإنّ حقّ ندائه تعالى من خلقه أن يكون بطريقة البعد، تعظيما لمنزلته تبارك وتعالى، واستقصارا للنّفس البشريّة الضّعيفة وإظهارا لحقارتها، واستبعادا لها من مظان الزّلفى وما يقرّبها من رضوان الله ومنازل المقرّبين[57]، غير أنّ المنادِي (العبد) بطَمَعِه في ما عند ربّه، وحسن ظنّه به، وبتعاظم رغبته في الإجابة يستشعر رحمة الله تعالى وحبّه لإلحاح العبد في الدّعاء، وربّما كان للمناجاة في الدّعاء لذّة واستعذاب للنّفس لا يضاهيها سواها من التّعبد والتّذلل حتى وُصف الدّعاء بأنّه مُخُّ العبادة، بل هو العبادة؛ لأنّه مَكمن الصّدق والإخلاص[58]. ولقد تضمّنت سورة البقرة المعاني الّتي التحم فيها النّداء مع الدّعاء رغم اختلاف شخص الدّاعي الّذي مثّلته شخوص مختلفة (دعاء الأنبياء، دعاء أهل الإيمان، دعاء أصحاب الجنّة) في مقامات تواصليّة مختلفة ومواقف متبايّنة.

- التّرغيب والتّرهيب:

من المتعارف عليه أنّ النّداء بـ **(↓ يَا أَيُّهَا)** في الذّكر الحكيم يجري على نمطين اثنين -غالبا- وهذا شأن سورة البقرة، فإذا ذكر سبحانه وتعالى الخطاب **↓ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ↑** كان للتّرغيب والحثّ على أمر ما مستحبّ، وإذا ذكر **↓ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ↑**:، فإنّ الخطاب يتوجّه إلى الكافرين ويكون فيه ترهيب من أمر ما مكروه أو شنيع يفعلونه[59]، وقد سبق ذكر الفرق بين الخطابين عند الحديث عن طبيعة المكوّن المنادى وأثره في تحديد القوّة الإنجازيّة للنّداء؛ فالخطاب في قوله تعالى: **↓ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالا طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨)↑ (البقرة: 168)** موجّه إلى المشركين ومستعمل في معنى التّوبيخ على ترك أكل الحلال الطيّب، وبالتّالي خرج فعل الأمر **(كُلُوا)** عن دلالته الأصليّة (الأمر) إلى معنى مستلزم هو التّرهيب من تحريم أكل الملذّات؛ أمّا الخطاب في قوله جلّ وعلا: **↓ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢)↑ (البقرة: 172)** حمل معنى الحثّ والتّرغيب على أكل الطيّبات؛ لأنّ الخطاب موجّه إلى المسلمين.

- السّؤال:

في قوله تعالى:**↓ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ↑ (البقرة: 61)**، خرج النّداء عن معناه الأصليّ الدّال على التّنبيه والإقبال إلى قوّة إنجازيّة مستلزمة أفادت السّؤال؛ ويظهر ذلك من خلال جواب النّداء المنفيّ للاستقبال **↓ لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ↑**، والنّفيّ هنا بـ **(لَنْ)** لا يدلّ على عدم رضا بني إسرائيل بطعام واحد، بل اشتهائهم صنوفا من الأطعمة، وإذا كان كذلك لم يكن قولهم معصية؛ لأنّ من أُبيح له صنوف من الطّعام، له أن يسأل غيرها، إمّا بنفسه أو على لسان الرّسول، ولمّا كان سؤال النّبيّ موسى -عليه السّلام- أقرب للإجابة سألوه عن ذلك[60]، ولا يُعدّ ما هو من الطّباع البشريّة من حبّ الانتقال من نعمة المنّ والسّلوى إلى غيرها قصد التّنويع إنّما يُحاسب عليه المرء إذا لم يسقط ذلك في محظور، إلاّ أنّ سيّاق الآية القبليّ والبعديّ يدلّ على أنّ ما عُدّ من أفعال بني إسرائيل مع توارد نعم الله عليهم كلّه من جرائرهم[61]، فحتّى صيغة سؤالهم كليم الله - عليه السّلام- الّذي خصّه ربّه بمنزلة شريفة فيها من سوء الأدب والجفاء ما يحمّلهم أوزارهم، ولعلّ مؤشّر النّداء (يا) الدّال على البعد هو الّذي أنزل موسى - عليه السّلام- القريب من قومه منزلة البعيد، وما يؤكّد ذلك الدّلالة السّلبيّة للعبارة اللّغويّة الشّريفة المنفيّة **↓ لَنْ نَصْبِرَ ↑**.

VII - خاتمة:

على ضوء الدّراسة التّطبيقيّة لجملة النّداء في سورة البقرة يستنتج ما يأتي:

- تتميّز جملة النّداء في سورة البقرة باشتمالها على جمل طلبيّة غير النّداء، الّذي قد يأتي به المتكلّم لغرض تواصليّ يتعلّق بالجملة الطّلبيّة الّتي اشتملت عليها جملة النّداء، وفي الغالب جاءت الجملة الطّلبيّة أمرا أو نهيّا أو هما معا.

- جملة النّداء وإن كانت طلبا، إلاّ أنّها ليست هي غاية الطّلب في الخطاب القرآنيّ، وإنّما يُراد بها معنى مستلزم يدعم الطلب المشتمل عليه سيّاق الخطاب، وذلك هو مناط الدّلالات الإبلاغيّة والوظائف التّواصليّة الّتي يقوم عليها النّداء في المتن الشّريف، وهذا ما يعبّر عنه ذلك التعالق بين النّداء (حرف النّداء والمنادَى) وبين سائر جملة النّداء في خطاب البقرة.

- اقتصار المتن الشّريف على المؤشّر الإنجازيّ (يا) دون غيره من المؤشّرات، حيث غلب عليه الاستعمال المجازيّ من خلال خروجه إلى دلالات سّياقيّة، قصد تنزيل المنادى منزلة غيره.

- نداء الله عزّ وجلّ لأنبيائه في معرض التّكليف ليس كنداء غيرهم من خلقه؛ لأنّ نداء سائر النّاس جاء بصيغة (يا أيّها) لتنزيل المنادى منزلة البعيد تنبيها له على عظم الأمر المدعو له، أمّا الأنبياء فإنّ نداءهم باستعمال المؤشّر الإنجازيّ (يا) الموضوع أصالة للبعيد كان نداء تشريف وتكريم، نحو نداء الله سبحانه وتعالى آدم في الجنّة، فكأنّ في النّداء بتوظيف (يا) إعلانا وتنويها بشأن آدم عليه السّلام وتكريما له.

- تعظيم العبد لخالقه، ويظهر جليّا في النّداء بغير أداة، وذاك ما يكثر في الدّعاء إذ يُصدّر بالنداء غالبا، ولقد ورد نداء الخلق لله بصفة الرّبوبيّة، حتّى لوحظ ذلك التّلازم بين الدّعاء ونداء الرّب.

- كشفت جملة النّداء في سورة البقرة عن أنواع المخاطِبين ومراتبهم وعن دور المكوّن المنادى في تحديد نوع القوّة الإنجازيّة المهيمنة على فحوى الخطاب، ومدى تبعيّة البنيّة اللّغويّة والعناصر السّياقيّة للوظيفة التّواصليّة المتوخّاة من النّداء.

- إنّ القوّة الإنجازيّة الأصليّة من جملة النّداء في خطاب البقرة هي طلب الإقبال والانتباه إلى أمر ما يستوجب التعاطي مع حيثياته بكلّ اهتمام، وهذا هو الغرض الأساس للنّداء القرآنيّ، أمّا القوى الإنجازيّة الفرعيّة والمستلزمة كالتّرغيب والتّرهيب، والسّؤال فلم تكن بالكثرة الّتي تلفت الانتباه، وإنّما استدعتها مواقف تواصليّة خاصّة، أمّا الدّعاء بوصفه قوّة إنجازيّة ملازمة للنّداء، فقد سيطر على كم كبير من مساحات العمليّة التّواصليّة في جملة النّداء رغم الاقتصار على نموذجين وهذا ما يكشف عن مدى حاجات المخلوقات إلى خالقهم جلّ وعلا.

الإحالات والهوامش:

[1]- ينظر: محمّد جمال الدّين بن منظور، لسان العرب، دار صادر للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، دط، 1994م، مادة (ن د ي)، ج15.

[2]- ينظر: جلال الدّين السّيوطي، الاتقان في علوم القرآن، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص ص526/ 527.

[3] - سورة الحجّ: الآية 73.

[4] - سورة الزخرف: الآية 68.

[5] - ينظر: محمود أحمد نحلة، في البلاغة العربيّة (علم المعاني)، دار العلوم العربيّة، بيروت، لبنان، ط1، 1990م، ص102، وينظر: بسيوني عبد الفتّاح فيّود، من بلاغة النّظم القرآني، دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع في آيات الذّكر الحكيم، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2010م ص187.

[6] - ينظر: بسيوني عبد الفتاح فيّود، من بلاغة النّظم القرآني، ص188.

• - إنّ المتكلّم حين ينجز جملة ما، يمكن له أن يحقّق قوّتين؛ الأولى هي القوّة الإنجازيّة الحرفيّة المدركة مقاليّا، والمعبّر عنها في الجملة بصيغة الفعل أو بفعل من زمرة الأفعال الإنجازيّة (كالأفعال سأل، وقال، ووعد)، أو الأداة، أو التّنغيم؛ أي ما تدلّ عليه الخصائص الصوريّة للجملة، والثّانية هي القوّة الإنجازيّة المستلزمة والمدركة مقاميّا، والّتي تستلزمها الجملة في طبقات مقاميّة معيّنة، ولا قرائن بنيويّة تدلّ عليها في صورة الجملة. ينظر: أحمد المتوكّل، - دراسات في نحو اللّغة العربيّة الوظيفيّ، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1686م، ص106، و- آفاق جديدة في نظريّة النّحو الوظيفيّ، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، الرّباط، المغرب، ط1، 1993م. ص21، ونعيمة الّزهري، الأمر والنّهيّ في اللّغة العربيّة، منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة الحسن الثّاني، مطبعة المعارف الجديدة، الرّباط، المغرب، دط، 1997م، ص ص146/ 148.

[7] - ينظر: أحمد المتوكّل، آفاق جديدة في نظرية النّحو الوظيفي، ص ص104/ 105

[8] - أحمد المتوكّل، الوظائف التّداولية في اللّغة العربيّة، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1985م، ص161.

• - يرى المتوكّل أنّ العبارة "أيّها" أصبحت من التحجّر، بحيث لا يمكن عدّها إلاّ أداة واحدة تدخل على المنادى كباقي أدوات النّداء الأخرى، وهذا خاصّ باللّغات الطّبيعيّة، أمّا ما يتعلّق بالخطاب القرآنيّ، فإنّ هذا الحكم غير عام؛ لأنّ أيّها، مركبّة من "أي" وها التّنبيه، ولكلّ قوّته الإنجازيّة ووظيفته التّواصليّة.

[9] - ينظر: أحمد المتوكّل، الوظائف التّداوليّة في اللّغة العربيّة، ص167/ 172.

[10]- ينظر: محمّد مشري، مركّب النّداء في القرآن الكريم بين المعاني النّحويّة ودلالة الخطاب، بحث مقدّم لنيل رسالة دكتوراه علوم في اللّغة العربيّة، جامعة منتوري، قسنطينة، 6جويلية 2009م، ص410.

[11] - ينظر: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشريّ، الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوّض، مكتبة العبيكان، الرّيّاض، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1998م، ج1، ص211.

[12] - ينظر: حكيمة بوقرومة، دراسة الأفعال الكلاميّة في القرآن الكريم- مقاربة تداوليّة، الخطاب دوريّة أكاديميّة محكمة تعنى بالدّراسات والبحوث العلميّة في اللّغة والأدب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، دار الأمل للطّباعة والنّشر، العدد الثّالث، ماي2008م، ص12.

[13] - ينظر : بسيوني عبد الفتاح فيود، من بلاغة النظم القرآنيّ ، ص 118 وما بعدها.

[14] - سورة ق: الآية 16.

[15] - عبد الرّحمان بن ناصر السّعدي، تيسير الكريم المنّان في تفسير كلام الرّحمان، تحقيق: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، مؤسسة الرّسالة، ناشرون، دمشق، سوريا، وبيروت، لبنان، ط2، 2012م، ص77.

[16] - ينظر: بسيوني عبد الفتّاح فيود، من بلاغة النّظم القرآنيّ ، ص 119 .

[17] - ينظر: محمد مشري، مركّب النّداء في القرآن الكريم بين المعاني النّحويّة ودلالة الخطاب، ص3 (من المقدمة).

[18] - ينظر: المرجع نفسه، ص614.

•- إنّ الحمولة الدّلاليّة للعبارة اللّغوية (الجملة) تنقسم إلى معان صريحة؛ وهي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها، ومعانٍ ضمنيّة، هي التي لا تدلّ عليها صيغة الجملة، بل تستلزم من المقام، عكس المعاني الصّريحة التي يتمّ فهمها من المحتوى القضوي، النّاتج عن ضمّ معاني مكوّنات الجملة (فعلي الإحالة والحمل). ينظر، أحمد المتوكّل: دراسات في نحو اللّغة العربيّة الوظيفيّ، ص105، ونعيمة الزّهري، الأمر والنّهيّ في اللّغة العربيّة، ص160.

[19] - ينظر، محمد مشري: مركّب النّداء في القرآن الكريم بين المعاني النّحويّة ودلالة الخطاب، ص3 (من المقدمة).

[20] - ينظر: المرجع نفسه، ص614.

[21] - بلقاسم دفّة، بنية الجملة الطّلبيّة ودلالتها في السّور المدنيّة، منشورات مخبر الأبحاث في اللّغة والأدب الجزائريّ، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، كليّة الآداب والعلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، جامعة محمّد خيضر، بسكرة، 2008م، ج1، ص170.

[22] - ينظر: المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[23] - محمد الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، الدّار التونسيّة للنّشر، تونس، د ط، 1984م، ج2، ص101.

[24] - خلود العموش، الخطاب القرآني - دراسة في العلاقة بين النّصّ والسّيّاق، عالم الكتب الحديث، إربد، وجدارا للكتاب العالميّ، عمّان، ط1، 2008م، ص467.

[25] - محمد مشري، مركّب النّداء في القرآن الكريم بين المعاني النّحويّة ودلالة الخطاب، ص4 (من المقدمة).

[26] - ينظر: المرجع نفسه، ص616 (من الخاتمة).

• - المؤشّر الإنجازيّ (يا) يستعمل لنداء القريب والبعيد معا، فإذا صدر النّداء من العبد لخالقه فهو نداء للبعيد بعدا حقيقيّا كامنا في علّوه تبارك وتعالى؛ وهو نداء قريب قربا حقيقّيا كامنا في رحمة الله تعالى بعباده، وكذلك يكون النّداء من الخالق لعبده للبعد؛ ومنه، توظّف (يا) لحقيقة النّداء ومجازاته، ينظر: حسين جمعة، جماليّة الخبر والإنشاء- دراسة بلاغيّة جماليّة نقديّة، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، د ط، 2005م، ص183.

[27] - ينظر: الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج9، ص139.

[28] - يقول الزّمخشريّ:« بلغنا بإسناد صحيح عن علقمة: أنّ كلّ شيء نزل فيه: (يا أيّها النّاس) فهو مكيّ، و(يا أيّها الّذين آمنوا) فهو مدنيّ، فقوله (يا أيّها النّاس اعبدوا ربّكم): خطاب لمشركي مكّة...»، لأنّ الغالب على أهل مكّة كان الكفر، فخُوطِبوا: (يا أيّها النّاس)، وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان، فخُوطِبوا: (يا أيّها الذين آمنوا)، ينظر: الكشّاف، ج1، ص210 (من المتن والهامش)، ولمزيد من التّفصيل، ينظر: جلال الدّين السّيوطي، الدرّ المنثور في التّفسير بالمأثور، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركيّ، مركز البحوث العربيّة الإسلاميّة، القاهرة، ط1، ج1، 2003م، ص ص177/ 179.

[29] - ينظر: التّحرير والتّنوير، ج1، ص324.

[30] - سعيد النّورسي، إشارات الإعجاز في مظّان المجاز، تحقيق: إحسان قاسم الصّالحي، شركة سوزلر للنّشر، القاهرة، مصر، ط3، 2002م، ص156.

[31] - محمد محمد أبو موسى، دلالات التّراكيب- دراسة بلاغيّة، مكتبة وهبة، عابدين، مصر، ط2، 1987م، ص262.

[32] - سعيد النّورسي، إشارات الإعجاز في مظّان المجاز، ص156.

• - المؤمنون والكفّار المشركون والمنافقون.

[33] - سعيد النّورسي، إشارات الإعجاز في مظّان المجاز، ص158.

[34] - المرجع نفسه، ص159.

[35] - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

• - نداء ورد كلّه في السّور المدنيّة.

[36] - ينظر: محمد متولي الشّعرواي، نداءات الرّحمان لأهل الإيمان، إعداد وتعليق وتقديم : عبد الرّحيم محمد متولي الشّعرواي، المكتبة التّوفيقيّة، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص6/ 66.

[37] - بلقاسم دفّة، بنية الجملة الطّلبيّة ودلالاتها في السّور المدنيّة، ص171.

[38] - ينظر: محمد متولي الشّعرواي، نداءات الرّحمان لأهل الإيمان، ص ص6، 35.

[39] - ينظر: ظافر بن غرمان العمري، مجازات النّداء وحقيقته وأغراضهما في الخطاب القرآنيّ، مجلّة معهد الإمام الشّاطبيّ للدّراسات القرآنيّة، العدد السّادس، 2008م، ص192، نقلا عن موقع : www.shatiby.edu.sa/magallah6/03_6.pdf

[40] - ناصر الدّين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط4، 2008م، المجلد1، ص104.

[41] - ينظر: ظافر بن غرمان العمري، مجازات النّداء ، ص192.

[42] - ينظر: بدر الدّين الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار التّراث، القاهرة، مصر، ط3، 1984م. ج2، ص223، وينظر: بلقاسم دفّة، بنية الجملة الطّلبيّة ودلالاتها في السّور المدنيّة، ص226.
[43] - ينظر: محمّد بن عليّ الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فنّي الرّواية والدّراية من علم التّفسير، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، ط1، 2012م، ج1، ص ص302/301، وبلقاسم دفة، بنية الجملة الطّلبيّة ودلالتها في السور المدنيّة، ج1، ص226.
[44] - الطاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج2، ص145.
[45] - المصدر نفسه، ص145.
[46] - شهاب الدّين السيّد محمود الألوسيّ البغداديّ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، تصحيح: محمود شكري الألوسيّ البغداديّ، إدارة الطّباعة المنيريّة، دار إحياء التراث العربيّن بيروت، لبنان، دط، دت، ج2، ص52.
[47] - بدر الدّين الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص325.
[48] - ينظر: المصدر نفسه، ص324، وينظر: بلقاسم دفّة، بنية الجملة الطّلبيّة ودلالاتها في السّور المدنيّة، ص244.
[49] - الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج1، ص413،
[50] - جلال الدين السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص ص584/583.
[51] - ينظر: محمد مشري، مركّب النّداء في القرآن الكريم ، ص451.
• - المنادى المضاف إلى ياء المتكلّم فيه ستّ لغات، أفصحها: حذفها مكتفيا منها بالكسرة، وهي لغة القرآن والأكثر استعمالا. لمزيد من التّفاصيل، ينظر: هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي: أمالي ابن الشّجري، تحقيق: محمود محمد الطّناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1992م، ج2، ص74، أحمد بن يوسف السمين الحلبي، الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخرّاط، دار القلم، دمشق، د ط، د ت، ج1، ص ص 359، 360، وعبد القاهر الجرجاني، درج الدّرر في تفسير الآيّ والسّور، تحقيق: وليد بن أحمد بن صالح الحسين وإياد عبد اللّطيف القيسي، إصدارات مجلّة الحكمة، بريطانيا، مانشستر، ط1، 2008م، العدد 22، ج1، ص173.
[52] - ينظر: بلقاسم دفّة، بنية الجملة الطّلبيّة ودلالاتها في السّور المدنيّة، ص224.
[53] - ينظر: محمد مشري، مركّب النّداء في القرآن الكريم ، ص388 (بتصرّف).
[54] - أحمد أبو الحسين بن فارس، الصّاحبي في فقه اللّغة وسائلها وسنن العرب في كلامها، علّق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ص131، وينظر: محمد مشري، مركّب النّداء في القرآن الكريم ، ص388.
[55] - ينظر: حسين جمعة، جماليّة الخبر والإنشاء، ص189.
[56] - ظافر بن غرمان العمري، مجازات النّداء ، ص207.
[57] - ينظر: جار الله الزّمخشريّ، الكشّاف، ج1، ص211.
[58] - ينظر: ظافر بن غرمان العمري، مجازات النّداء ، ص206.
[59] - ينظر: حسين جمعة، جماليّة الخبر والإنشاء، ص193.
[60] - ينظر: محمّد بن يوسف أبو حيّان الأندلسيّ، تفسير البحر المحيط: تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعليّ محمّد معوض، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ج1، ص ص393/ 394.
[61] - ينظر: بلقاسم دفّة: بنية الجملة الطلبيّة ودلالاتها في السّور المدنيّة، ص249.